أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
المجلد 04 العدد 01 (مارس،2022) ISSN 2773-2940 EISSN 2800-1435 ص 129 إلى 144

روح التفلسف لدى الشاعر العربي المتصوف

–قراءة في نماذج شعرية صوفية قديمة-

The philosophical spirit of the Arab Mystic Poet
A Study of the Ancient Sufi Pieces of Poetry

فوزي لحمر*

جامعة باتنة -01- fouzi.lahmar@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال	2021/12/20	تاريخ القبول	2022/02/15م

ملخص

تزخر القصيدة الصوفية العربية القديمة بالكثير من المعاني الروحية والقيم الجمالية، ولعل أبرز سمة ميّزتها هي الاشتغال المكثف على الغموض، وأبرز تجلٍ لهذا التجديد يكمن في النزعة الفلسفية التي صبغت القصيدة الصوفية القديمة، إذ كثيرا ما نجد الشاعر الصوفي القديم ينأى عن الدلالات الجاهزة ليمارس عنصر التعمية على معانيه. يروم البحث استجلاء العلاقة بين القصيدة الصوفية القديمة وبعض المقولات الفلسفية الغربية، وكشف مدى تأثر الشاعر المتصوف بالفلسفة، وقد خلصت الورقة البحثية إلى: تجلى تأثّر الشاعر الصوفي بالفلسفة الغربية من خلال توظيف بعض مقولات الفلسفة الروحية والإشراقية القديمة كوحدة الوجود والاتحاد. احتفى الشاعر العربي المتصوف القديم بمقولات الفلسفة الغربية كونها تتواءم ورؤيته الأنطولوجية للحياة وتروي ضمأ سؤال الكتابة والمعرفة لديه.

الكلمات المفتاحية: الشعر؛ الفلسفة؛ التصوف؛ الاتحاد، الإشراق، وحدة الوجود.

Abstract

The ancient Arabic Sufi poem is full of both spiritual meanings and aesthetic values. Probably, the intense work on ambiguity is the most prominent feature distinguishing it, and the philosophical tendency characterized the old Sufi poem is the most prominent manifestation of this renewal. Significantly, the ancient Sufi poet kept away from the ready-made connotations to practice the obscuring element over its meanings. The research aims to clarify the relationship between the old Sufi poem and some western philosophical sayings, and to determine the extent to which the Sufi poet was affected by the philosophy. A set of results have been drawn: The influence of the Sufi poet on western philosophy was manifested by employing some of the ancient spiritual and illuminating philosophy sayings, such as the unity of existence and union, in the Sufi poem as a kind of spiritual salvation. The ancient Arab mystic poet commended the sayings of western philosophy being compatible with his ontological vision of life and satisfies the thirst of his inquiries concerning writing and knowledge.

Keywords: poetry; Philosophy; mysticism; Union; illumination, unity of existence.

*المؤلف المرسل

1.مقدمة:

لا شك أن محاولة البحث في العلاقة التفاعلية بين الفلسفة و الأدب تُفضي بنا إلى التوقف عند التخوم التي يشتركان فيها، وكذا الأهداف المتوخاة من كل حقل معرفي على حدة، ولعل الهدف الأسمى لكليهما هو البحث في الذات الانسانية -من جهة- وفي الكون في بشتى تمثلاته من -جهة أخرى-

من هذا المنطلق، سنحاول من خلال هذه الدراسة إيجاد علاقات التأثير والتأثر بين حقل الفلسفة الغربية القديمة و النص الشعري الصوفي العربي القديم، وكشف أنماط التداخل بين بعض المقولات الفلسفية الغربية ومبادئ الصوفية، إذ تتمحور إشكالية بحثنا في عدة نقاط أهمها :

-ماذا نقصد بالتصوف عموما؟ وما هي عوامل نشأة التصوف الإسلامي ؟

-ما مفهوم الفلسفة الغربية القديمة ؟

-كيف تأثر أعلام التصوف الإسلامي بالفلسفة؟ وما هي تجليات وتمظهرات الفلسفة الغربية في النص الشعري الصوفي العربي القديم؟

وقد اعتمدنا -في بحثنا هذا- القراءة التأويلية للإجابة عن هذه الإشكالية، كونها قراءة تتواءم ورؤيتنا البحثية، كما قسمنا البحث إلى العناصر الآتية:

2. المفهمة:

1.2 - مفهوم التصوف :

يعدّ موضوع التصوف من الموضوعات التي حظيت بالكثير من الدراسات، إذ يشكل بؤرة لإشكالية مفاهيمية تعددت فيها الآراء واختلفت حولها المذاهب، والتصوف كما هو معروف موجود في الحضارات و مقترن بمختلف الديانات، فضلا عن الحضارة العربية الإسلامية، أين نجد هذا الموضوع يشغل حيزا معتبر من اهتمامات العلماء و النقاد و الأدباء على حد سواء، فهناك من

دخله طامحا في كشف أسرار المعتقدين به، طامعا في تبوإ مكانة منهم، و هناك من سعى إلى دحض مزاعم رواده و إبطالها، و هناك أيضا من شد إليه رحاله بغية إثراء تجربته وتوسيع معارفه .

إن علم " التصوف" بحد ذاته علم يشوبه الكثير من اللبس و الإبهام، ذلك أنه تشرب من عدة حقول معرفية، فاختلفت فيه الآراء و التعريفات باختلاف المعتقدات والملل والنحل .

وبالعودة إلى الاصطلاح اللغوي كلمة " تصوف " نجد أن ابن منظور يعرفها بقوله «صوف : الصوف للضأن وما أشبهه ، الجوهري : الصوف للشاة، والصوفة أخص منه، ابن السيد : الصوف للغنم كالشعر للمعزَ والوبر للإبل والجمع أصواف .» (ابن منظور، بلا تاريخ، صفحة 307)

كما جاء في معجم الوسيط : «صاف الكبش – صوفا : ظهر عليه الصوف فهو صائف، كثر صوفه، فهو أصوف، وهي صوفاء» (مصطفى، صفحة 529)

الملاحظ أن الدلالة اللغوية للكلمة تدور في دائرة واحدة –ألا وهي – الصوف أو ما يغطي الحيوان (الشاة ، الكبش ...)

أما اصطلاحا، فإن تحديد مفهوم واحد دقيق للتصوف ليس بالأمر الهين السهل، فقد تضاربت الآراء وتعددت في مفهوم التصوف، فمثلا نجد أن هناك من يرى أن سموا " صوفية " لصفاء أسرارهم، يقول" بشر بن الحارث" : «الصوفي من صفت لله معاملته، فصفت لله عز وجل – كرامته.» (إحسان إلهي، 2008، صفحة 36)

أما الصوفي لدى "الشبلي " فهو : «الذي ينقطع عن الخلق فيتصل بالحق.» (بكر، 2012، صفحة 23)، إنه معتزل للناس ومنقطع لله بالعبادة والدعاء .

أما " ابن الجوزي " فيرى أن « التصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتمون إليها في السماع و الرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، و مال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب.» (الجوزي، 2011، صفحة 153)

إن التصوف عند " ابن الجوزي " كان في البداية مذهب الزاهدين المتعبدين المنقطعين عن ملذات الدنيا و زخرفها، لكنه سرعان ما انحط وانتقل من كونه عبادة، إلى مجالس طرب و غناء و لهو، جلبت إليه طلاب الدنيا، فحاد بذلك التصوف والمتصوفة عن مذهبهم الأول، و غايتهم التي تترفع عن مثل هذه الأشياء.

إن ما يميز التصوف الإسلامي هو مروره بمرحلتين أساسيتين:

-المرحلة الأولى: كانت عملية بامتياز؛ حيث ينقطع فيها الزاهد للعبادة ومكابدة ملذات الدنيا ويكون ذلك بتعذيب النفس وتدريبها على الصبر وتحمل الجوع والعطش طمعا في نعيم الآخرة.

-المرحلة الثانية: تبتدئ من نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة، وقد تميزت هذه المرحلة بانفتاح العربي على غيره من الأجناس والثقافات ما أسهم في ولادة نمط جديد من التفكير قائم على إعمال العقل وتقويض المعرفة الجاهزة، ولم يكن التصوف في منأى عن هذا التجديد، إذ أصبح المتصوف يرى بذوقية معرفة الخالق وبالتالي لم تصبح العبادة العملية وحدها سبيلا إلى الحظوة الإلهية، بل صار الاعتماد على القلب لمعرفة الخالق ولتذوق الحقيقة الكونية.

2. 2. مفهوم الفلسفة :

إن سعي الانسان لفهم الوجود وظواهره، جعله يتساءل حول ماهيته وكينونته –من جهة – ويتأمل في الطبيعة المحيطة به عله يحظى بإجابة –من جهة أخرى– إن هذا التساؤل المتواصل أفضى بالإنسان إلى أن سر فهم الوجود؛ يكمن في إحداث قطيعة مع النظرة المادية السطحية القديمة للعالم، وتعويضها بنظرة أخرى تكون أكثر عمقا، ركيزتها العقل و المنطق، وهدفها البحث في الميتافيزيقيات ،إنه حب الحكمة لدى الموجود البشري.

تعد الفلسفة عصارة نضج وتأمل عميق للإنسان، إذ تُعنى بـ: «علم الوجود العام، وهي أيضا علم الحياة الكلية ومن هذه الناحية، فإنها تمثل للإنسان المعاصر بعدا مهما من أبعاد وجوده ونافذة يطل منها على الوجود العام.» (هويدي، بلا تاريخ، الصفحات 13-14)

إنها بذلك علم يسعى لفك طلاسم ما استشكل على العقل البشري، وإيجاد تفسير منطقي للظواهر المختلفة، سواء تعلق الأمر بالذات البشرية –في حد ذاتها – أو بالماورائيات من ظواهر هذا العالم.

إن الفلسفة كعلم، كانت تُعنى أول الأمر بدراسة العالم و الكون بكل تمثلاته وأسراره، وبمجيء الفيلسوف اليوناني **"** سقراط **"**تغيرت بوصلتها وأضحت موجهة نحو دراسة الإنسان، «إذ وجه الدراسات الفلسفية وجهة جديدة، حيث انصرف عن دراسة الطبيعة من أجل الانهماك في دراسة الإنسان.» (زكريا، 1971، صفحة 30)، وبذلك تكون الفلسفة مدينة بالكثير للفيلسوف اليوناني**"**سقراط**"** فهو الأب الروحي لهذا العلم، لأنه أنزل الفلسفة من السماء، وأدخلها للبيوت و المدن، وجعلها تصب اهتمامها على معرفة الإنسان .

ثم يأتي الدور بعدها، على تلميذه " أرسطو " الذي طور الكثير من مفاهيم معلمه (سقراط)، وأضاف إبدالات أخرى ونظريات جديدة ، فشاع هذا العلم وانتشر وخرج من دائرته الضيقة، ليدخل و يتمازج مع بقية العلوم، ويصبح للفلسفة صدى واسع وتتعدد بعدها تياراتها ومذاهبها .

وقد انقسمت المدارس الفلسفية اليونانية القديمة إلى قسمين :

— «الأول : سابِق لسقراط أو للسقراطية : وهي مدرسة ملطية وأشهر فلاسفتها " طاليس " ، " أناكسمندر " ، " أناكسيمنس " ق 06 ق م ، وكذلك المدرسة الفيثاغورسية (الفيثاغور) .

— الثاني : لاحق لسقراط :وتمثله عدة مدارس أهمها : المشائية التي أقامها " أرسطو " ، والأبيقورية : أسسها " أبيقور " و المدرسة الأيونية للفلاسفة الطبيعيين التجريبين.» (الموسوي، 2015، صفحة 521) .

يمكننا القول -إذن- إن الفلسفة الغربية القديمة اهتمت بادئ الأمر بالظواهر الميتافيزيقية و بالجوانب الروحية التي تتماشى والمعتقدات الدينية اليونانية الوثنية، قبل أن تنزل إل مجال العلوم التجريبية لتفسر مختلف الظواهر .

3-أثر الفلسفة في النص الشعري الصوفي القديم :

إن فرادة التجربة الصوفية وتميزها عن بافي التجارب الأخرى، تجلت بوضوح في النص الشعري الصوفي القديم، إذ نجده مخصوصا دون سواه، بالمعنى العميق، و اللفظ الرقيق، أضف إلى ذلك غموض التجربة الصوفية إذ صار النص الشعري الصوفي نصا وجوديا بامتياز، يطرح قضايا متعلقة بوجود الإنسان ومصيره ويبحث في إشكالية علاقة الذات الإنسانية بالذات الإلهية، ما جعل هذه

التجربة الشعرية متميزة بما تحمله من غموض وعمق فكري ودلالي و ثراء فني جمالي.

لقد ساهم النص الصوفي في طرح لغة جديدة وفريدة إلى القاموس الشعري العربي، ناهيك عن المعاني و الدلالات –المبهمة أحيانا- التي تصدر تجربتهم الغامضة و المعقدة كونها تجربة ذوقية -من جهة–وتشربهم من معين الفلسفة الغربية –من جهة أخرى- لهذا فكثيرا ما نلمس تلك القدرة البالغة والباهرة للشاعر الصوفي على التلاعب بالألفاظ، و إخراجها من سياقاتها، وإعادة شحنها بمدلولات جديدة مطيتهم إلى ذلك كله تكمن في استخدام الترميز و الإيحاء، و الإشارة بدل العبارة ، و الغموض بدل الإيضاح .

إن القصيدة الصوفية القديمة هي قصيدة بوح من الدرجة الأولى، إذ تمتلك سمات الإطلاق واللاتحديد، كما أنها تمردت على الشعرية العربية وقوضت النموذج القائم على البكاء على الطلل والتغزل بالمرأة، إلى تجربة تقوم على العلاقة الروحية بين الخالق والمخلوق والتصوير المجرد للموجودات.

وكلها سمات فتحت النص الصوفي على تعدد التأويلات والقراءات. فالشاعر الصوفي صار يغرف من حقول معرفية متنوعة، فتارة نجده حكيما ورعا، وتارة عاشقا ولها، وتارة عالما متفلسفا، حياته تتقلب بين حل وترحال، وشوق وسكر وفناء و لقاء، وعروج إلى السماء .

تعد الفلسفة الغربية أكثر الحقول التي تأثر بها الشعراء المتصوفة القدماء، ذلك أنهم وجدوا فيها ضالتهم ومتنفسهم، خاصة وأن بعض طقوسهم ورياضاتهم الروحية تتماشى و تقترب من نحو مبادئ الفلسفة، هذه الأخيرة كانت أرض خصبة لفلاسفة التصوف – أمثال : الحلاج، الشبلي و النفري ...الذين ضمّنوا شعرهم

ببعض مبادئها، و سنفرد الحديث عن تجليات هذه المبادئ الفلسفية في النص الشعري الصوفي العربي القديم .

4.المبادئ الفلسفية الغربية القديمة وتجلياتها في الشعري الصوفي العربي:

1.4. مبدأ الاتحاد :

هو مبدأ يعني لغة: «سيرورة الشيئين أو أكثر شيئا واحدا ، وله مراتب لعل أدناها كما في الاشتراك البسيط كما في اختلاط الماء بالماء ، وأعلاه كالذي يراه الصوفية في اتحاد المخلوق بالخالق» (الموسوي، 2015، صفحة 15) .وقد تبنى المتصوفة هذا المبدأ و جعلوه تعبيرا عن الحالة التي تلي الفناء، إذ تحجب كل الصور الحسية ولا يبقى أمامهم سوى صورة الحق، أي أن الاتحاد في نظر الصوفي « قد تم بين الرائي و المرئي فأصبحا شيئا واحدا، وفي هذه الحالة يعبر كل واحد من عنصر الاتحاد عن الآخر بضمير الأنا» (حسان، 2010، صفحة 368).

ولعل أكثر من تبنّى هذا المبدأ واعتقد به أبو يزيد البسطامي (ت 264 هـ) ومن أقواله: «سبحاني ما أعظم شأني .» (الموسوي، 2015، صفحة 16)، وهو يقصد أنه ذاته الناسوتية اتحدت بالذات الإلهية لتصبح تضاهيها في العظمة والشأن، وهو كلام ظاهره كفر بالواحد وخلاف بالعقيدة ، أما باطنه فهو يُفسَّر في منظور التجربة الصوفية بكونه **"** شطحًا**"** من شطحاتهم .

يبرز هذا المبدأ في شعر الحلاج على (ت 309 هـ) –على وجه الخصوص– إذ نجده كثيرا ما يعبر عن اتحاد ذاته الناسوتية في الذات الإلهية فيقول مثلا:

لبيك لبيك ، ياسري ونجوائـــــي لبيك ، لبيك ، يا قصدي ومعنائي
أدعوك بل أنت تدعوني إليـــك، فهل ناديت إياك أم ناديت إيائي

يا عين عين وجودي يا مدى هـمم يا منطقي وعباراتي وإيمانـــــــي
يا كل كلي ويا سمعي ويا بصـــــري يا جملتي وتباعيضي وأجزائـــــي
يا ويح روحي من روحي ،فوا أسفي على مني ، فإني أصل بلوائـــــي
وليس يعلم ما لقيت من أحـــــد إلا الذي حل مني في سويدائـــي
(الحلاج، 2007، الصفحات 27-28).

إن المتأمل لهذه الأبيات **"**للحلاج**"** يجد هذا التماهي و الاتحاد بين الذاتين (اللاهوتية و الناسوتية)، وهو ينطلق من إعلان خضوعه لخالقه (لبيك، لبيك ...) ليصل إلى القول إن المخاطب و المخاطَبْ صارا ذاتا واحدة .

استقى**"** الحلاج **"** هذا المبدأ من الفلسفات الإشراقية القديمة والجديدة فالحلولية في الفلسفة و بالمعنى الحقيقي ، مذهب يرى أن الكل هو (الله) أن (الله) ليس سوى واحد . هذا ما يقره **"**سبينوزا**"** في مبناه الفلسفي لمذهب وحدة الوجود**"** (الموسوي، 2015، صفحة 460) .

لقد أثّرت الفلسفة بشكل كبير في شعراء المتصوفة فأسقطوا مبادئها على شعرهم، و عبّروا عن العلاقة الإشكالية بنماذج فلسفية تعكس القلق الأنطلوجي الذي يكابده الصوفي، و الرؤية العميقة للذات العلوية بكل كشوفاتها وفيوضاتها وتجلياتها .

2.4. مبدأ وحدة الوجود:

وهذا المبدأ من المبادئ التي ارتكزت عليها الرؤية الصوفية و قد استقاها علماؤها من المذاهب الفلسفية القديمة، « وهو مذهب يقول بأن الله و الكون أو العالم لا يتمايزان، و هو مرادف أو يتقارب مع مذهب الحلول ...وهو من المذاهب القديمة عند البراهماتية والرواقية والأفلاطونية» (الموسوي، 2015، صفحة

659). وكلها مذاهب فلسفية ترد كل الموجودات إلى الله أو أنها عين و جود الله تعالى، وهو ما يقول به الصوفية من خلال قولهم بتجلي الله في خلقه، وأن كل ما نراه من كائنات و مخلوقات ، و لكل ما يحويه الكون ما هو إلا صورة للحق، ونعوت للذات الإلهية، ويعد " ابن عربي " أول من أشار إلى هذا المبدإ، مخالفا علماء الصوفية الأوائل الذين قالوا بالحلول والاتحاد، وعلى رأسهم الجنيد، (لأن الحلول و الاتحاد يقضي بوجود طبيعتين مختلفتين قد حلت إحداهما في الأخرى عكس وحدة الوجود التي تجعل كل مظاهر الكون تجليا للذات الواحدة، وقد كان الجنيد « كان يفرّق بين الله تعالى وخلقه، لذلك كان " ابن عربي " يبغض " الجنيد " لأجل ذلك» (الوصفي، بلا تاريخ، صفحة 190).

إن مذهب " وحدة الجودة "ظهر في الفلسفة الهندية القديمة التي ترى أن الروح الخالقة تسري في الكون و الطبيعة، وهو ما يعني حلول و تجلي الله في الكون. لكن " ابن عربي " أعاد النظر في هذا الاتجاه كونه يعترض على الفلاسفة و الإلهيين الذين يحدّون الاتساع الإلهي من جهة، ويضيقونه من جهة أخرى حسب رأيه .

وذلك بقوله في ذات اللاهوتية « هو ليس هو» (ألموند، 2011، صفحة 42) وهو ما يعني رفضه لاعتقادات المذاهب الأخرى السابقة له، سواء التي ترى بالتشبيه (تشبيه الذات الإلاهية بالمخلوق) أو التنزيه (تنزيه الذات عن الصفات)، على ذلك أعاد " ابن عربي " مفهومه لهذا المبدإ واعتبر أن وحدة الوجود تعني:« إعادة نسبة أصول الأشياء جمعها ورتبتها الوجودية إلى الله مع الاحتفاظ باستقلالها الوجودي في الوقت نفسه.» (ألموند، 2011، صفحة 46) وهذه هي الفكرة العميقة التي تبنّاها ابن عربي بوصفها تنظر للأشياء وفق نسق أفلاطوني

باطني، يرى كل الحقائق –من بينها الله – هي حقائق تفوق القدرة على الوصف، و لا يمكن أن تدرك إلا مرورًا بمقامات وأحوال تنكشف بعدها أسرارها و أستارها .

لقد نحا " ابن عربي " هذا المنحى الفلسفي في شعره ، وهو ما لمسناه جليا في ديوانه ، وهذه بعض الأبيات التي تعكس فلسفته الشعرية وتصف حال هذا الشاعر الفيلسوف:

أشهد في خالقي بجـــــوده ما شاءه من سنا وجــوده
واختارني للعلوم قلبـــــا عناية ي على عبيـــــده
وقال لي لا تكن محـــــلا لوارد الكون في شهــوده
فإنما جنتي ونـــــــاري لكل رسم دار خـــلـوده
فأذكر وجودي بعين جودي يكن عطاء على حسوده .
(المرسي، 1996، صفحة 46)

وقال أيضا يخاطب سره الوجودي في الكون :

عقلي به فوق عقل النـاس كلهم فلست أفكر في شيء أقضيـه
تصرفي ليس عن فكر ولا نظـري لكن عن الله يوحيه فأمضيـه
الأمر بيني و بين السر منقســـم بحاله فهو يرضيني وأرضيـــه
فما يكون له من حادث قبـــلي يبغي تكونه إلا وأقضيـــــــه
فكل ما هو فيه من مكانتنـــــا وكل ما نحن فيه من مراضيه
(المرسي، 1996، صفحة 342)

تتجلى في هذه الأبيات –كما في الكثير من القصائد الأخرى – فلسفة الشاعر ونظرته الوجودية ، و التي ترتبط –كما أشرنا – بإيمانه بأحادية التكوين ووحدة الموجودات ، وما التعدد الظاهر إلا تعدد في المسميات والنعوت .

03.04الإشراق:

يعد الإشراق من المذاهب الفلسفية القديمة التي تركن إلى تربية النفس بالمجاهدة والمكابدة، ويعني لغة:« الإضاءة و الإثارة، فمثلا يقال: أشرقت الشمس في دخول شروقها بمعنى أضاءت ... وقد عرف هذا المصطلح في الفلسفات الشرقية القديمة التي تشتهر باتجاهها الذي يذهب إلى أن أداة ومصدر المعرفة هو النور الباطني أو الحدس الوجداني غير العقلي» (الموسوي، 2015، صفحة 96).

وتمتد جذور هذه الفلسفة إلى الفلسفات الشرقية القديمة وتحديدا إلى الفلسفة المعروفة «بالهرموسية تنتسب إلى هرمس الذي كثر الاختلاف في شخصيته فقيل النبي إدريس وقيل أخذوخ.» (الموسوي، 2015، صفحة 97).

وقد تشرّب الصوفية هذا المذهب واعتنقوا مذاهبه و مارسوا طقوسه ، فجاهدوا أنفسهم وعذبوها ظنا منهم أن حصول المعرفة و الفيض الإلهي لا يكون إلا عبر هذه المراحل، «فالإشراق النفسي الذي يفيض في القلب بالنور والذي يكون نتيجة للتربية النفسية و الرياضية، و المجاهدة و تعذيب النفس لتنقيتها وتصفيتها.» (بكر، 2012، صفحة 155).

إن الإشراق لدى الفلاسفة كما لدى الصوفية هو ظهور الأنوار والكشوفات الإلهية العرفانية، نتيجة التجرد من شوائب الماديات فالمعرفة لديهم «فيضية، ذات طبيعة خفية، تتجاوز الحواس، ولا تعتمدها، وتخرج عن نطاق السبب و المسبب.» (زدادقة، 2008، الصفحات 139-140). ذلك أنها ذوقية مصدرها

القلب و ليس العقل، فالقلب لدى الصوفية هو موطن الأسرار و المعارف الكبرى التي لا تتأتى إلا بترك التنعم بزخرف الحياة و ملذاتها، والتجرد من المواد الجسمية المادية كما يرى ذلك شاعر المتوصوفة وفيلسوفهم السهروردي«(أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك) وقبله خاله الشيخ "عمر السهروردي" ولعل أهم ما قدمه "أبو الفتوح يحيى بن حبش السهروردي" للفلسفة هو "هو نظريته في الإشراق التي تعد تطويرا لنظرية "الحلاج "في الوجود ،بوصفه نورا على صورة تدخل في العناصر الفلسفية في وضوح و جلاء مع إضافات من الأفكار الشرقية القديمة ...وقد عرض السهروردي فلسفته المشائية و المنطق الأرسطي واتجاهه العقلي المحض.» (السيبي، 2013، صفحة 13).

فهو يرى أن النفس البشرية نزلت من السماء إلى الأرض لتستكمل أنوارها وفيوضاتها المعرفية، ولكن لا يكون لها ذلك إلا بالمجاهدة و التغلب على الجسد الترابي، و من بين مقولات "السهروردي":« أول الشروع في الحكمة ، الإنسلاخ عن الدنيا و أوسطه مشاهدة الأنوار الإلهية، و آخره لا نهاية له.» (السيبي، 2013، صفحة 16) .

ومن بين الأبيات الشعرية التي تتجلى فيها فلسفته الإشراقية قوله:

أبدا تحن إليـــكم الأرواح ووصالها ريحانكم و الــراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم وإلى جلال لقائكم ترتـــاح
وأحصرة للعاشقين تحمـــلوا سر المحبة والهوى فضـــاح
بالسر إن باحوا دماءهـــــم وكذا دماء العاشقين تبـاح
(السيبي، 2013، صفحة 19)

إنه الحنين إلى عالم الأرواح، حنين إلى أصل الخلق والتكوين، فالعودة إلى هذا العالم المنشود بالنسبة "السهروردي" هي في الفناء عن الدنيا، والبقاء مع أنوار الحق وإشراقات المعرفة الربانية، إنه سر العارفين –وحدهم– وفيه بذلوا دماءهم وزهدوا في أعمارهم (الحلاج)، لكن كل هذا الهم و الكدر ينجلي عند أول رشفة من كأس المعرفة الإلهية، وفيض العشق الرباني.

5.خاتمة:

من خلال المعطيات السابقة يتبين لنا ما يلي:

لقد كان للفلسفة أثر معتبر في تكوّن معاني الشعر الصوفي القديم.

-بدا " الحلاج " ذا جنوح واضح نحو الفلسفة الحلولية التي ترى باتحاد الموجودات وتمازجها مع الذات الإلهية.

-أما " ابن العربي " فقد نافح عما سمي مذهب " وحدة الوجود " الذي يعود للفلسفات الأفلاطونية الباطنية التي ترى بأن أصل الكون وروحه واحدة ترجع إلى أصلها الأول وهي الروح الإلهية العلوية .

-في حين تتجلى فلسفة الإشراق لدى الشاعر الفيلسوف "السهروردي" وهي فلسفة شرقية قائمة على تعذيب النفس ومكايدتها للوصول إلى فيض المعرفة .

6.قائمة المراجع:

1. (أبو الفضل جمال الدين) ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب (الإصدار 01). لبنان: دار صادر.
2. إبراهيم مصطفى. المعجم الوسيط. تركيا: دار المكتبة الاسلامية.
3. ابن الجوزي. (2011). تلبيس إبليس (الإصدار 01). مصر: دار ابن الجوزي.

4. ابن عربي أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المرسي. (1996). ديوان ابن عربي (الإصدار 01). لبنان: دار الكتب العلمية.

5. أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج. (2007). ديوان الحلاج ويليه كتاب الطواسين (الإصدار 03). العراق: منشورات الجمل.

6. أيان ألموند. (2011). التصوف والتفكيك: درس مقارن بين ابن عربي ودريدا (الإصدار 01). (حسام نايل، المترجمون) مصر: المركز الفومي للترجمة.

7. إبراهيم زكريا. (1971). مشكلة الفلسفة العامة (الإصدار 03). مصر: دار مصر للطباعة والنشر.

8. رحيم أبو رغيف الموسوي. (2015). الدليل الفلسفي الشامل (الإصدار 01). لبنان: دار المحجة البيضاء.

9. سفيان زدادقة. (2008). الحقيقة والسراب: قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة (الإصدار 01). لبنان: الدار العربية للعلوم.

10. ظهير إحسان إلهي. (2008). التصوف ، المنشأ-المصادر (الإصدار 01). مصر: دار ابن الجوزي.

11. عبد الحكيم حسان. (2010). التصوف في الشعر العربي: نشأته وتطوره حتى آخر القرن 03 هجري (الإصدار 01). مصر: دار نور حوران للدراسات والفكرؤ والترجمة.

12. علاء بكر. (2012). مختصر تاريخ التصوف (الإصدار 01). مصر: دار ابن الجوزي.

13. علي بن السيد بن احمد الوصفي. (بلا تاريخ). موازين الصوفية. مصر: دار الإمام.

14. كامل مصطفى السيبي. (2013). ديوان السهروردي المقتول (الإصدار 01). لبنان: دار الجمل.

15. ياحي هويدي. (بلا تاريخ). مقدمة في الفلسفة العامة (الإصدار 09). مصر: دار الثقافة والنشر.